الجمال واللعنة

بقلم : "كين هام"

نشرت لأول مرة فى

"لماذا لا يريدون الاستماع؟"

الفصل التاسع

الترنيمة الشهيرة "كل الأشياء جميلة ولامعة" منتشرة فى الكنائس كلها . ورغم أنها ترنيمة رائعة وأستمتع بها إلا أنها ترسم صورة غير صحيحة للعالم .

إذا استطعت أن تأتى معى إلى الغابات الاستوائية المطيرة فى أقصى شمال "أستراليا" فسترى شجرة تلدغ لدغة مميتة ، إذا لمست أوراقها مجرد لمسة خفيفة فستتلقى لدغة مؤلمة قد تدوم عدة سنوات . تخيل أنك لُدغت من هذه الشجرة الآن فستجد نفسك نازلاً مسرعًا لأسفل التلة وأنت فى شدة الألم حتى تصل للمحيط القريب لتغسل ذراعك . إذا لدغتك شجرة من أشجار "أستراليا" الاستوائية المميتة فقد تموت خلال ثوان معدودة . تطلع زاحفًا من المحيط وتتزحلق فى جدول مياه عذبة وعندما تجد نفسك بين فكى تمساح مفترس تبدأ فى غناء تلك الترنيمة "كل الأشياء جميلة ولامعة" .

فى العالم الواقعى ليست كل الأشياء جميلة ، أليس كذلك ؟ أحيانًا أفكر فى إضافة عدد آخر لهذه الترنيمة يقول مثلاً : "كل الأشياء مشوهة ومتحورة ـ والله لعنها كلها" .

عندما ينظر المؤمنون للعالم لابد لهم أن يفهموا أنهم ينظرون إلى عالم ساقط . إنه ليس العالم الذى صنعه الله بل خلقه فقط ثم لعنه بسبب الخطية . عالم يئن ويتألم ونهايته الفساد .

هذه ملاحظة جديرة بالأخذ فى الاعتبار لأن أغلب المؤمنين اليوم لا يوصلون المسيحية الحقيقية إلى غير المسيحيين بسبب التغيرات الجذرية التى ناقشناها فى الفصل السابق .

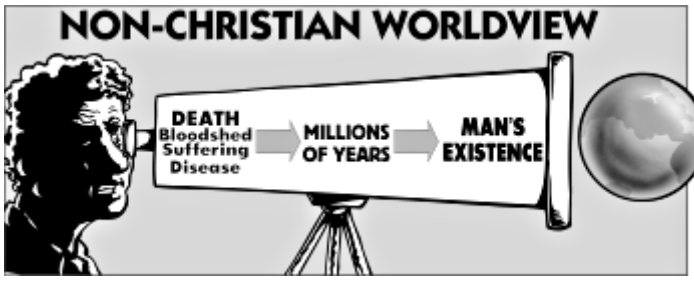

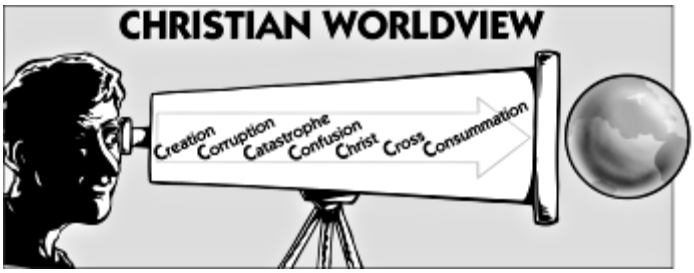

تأمل هذا الرسم : تخيل نفسك ، وأنت مؤمن ، مصطحباً شخصًا غير مؤمن إلى الأخدود العظيم. ذهبت أنا نفسى إلى هناك ، مكان جميل حقًا والمناظر كلها مدهشة . وأنت واقف على حافة ذلك الأخدود ستقول لصديقك : "انظر إلى كل هذا الجمال ، ألا ترى فيه أن الله محبة ؟ إنه عالم رائع حقًا" .

سينظر صديقك إليك ويجاوب قائلاً : "ماذا تقصد ؟ فأنا لا أرى إلا بلايين من الأشياء الميتة مدفونة وسط طبقات الصخور . طبقات هذا الأخدود مليئة بالأشياء الميتة (الحفريات) التى مر عليها ملايين من سنين فيها موت وأمراض وصراعات . أرى حولى فى كل مكان فى العالم أطفالاً تموت وجرائم بشعة وإرهابًا وحوادث فظيعة . لا أرى عالمًا جميلاً . بل أرى آلامًا جسدية ومعنوية فى كل مكان أنظر إليه . إنه عالم ملىء بالفوضى . إنه عالم لا يصلح للبقاء فيه إلا القوى ، لأن الضعيف يُركل بالأقدام . لا أرى إله محبة أو نظام . إذا كان موجودًا فعلاً فلابد أنه إله شرير وبغيض" .

المشكلة أنك وصديقك تنظران إلى الأخدود (وإلى العالم) من خلال عدسات مختلفة . إذا نظرت إلى العالم من خلال عدسة كلمة الله ستعرف أن الله خلق عالمًا كاملاً لكن الإنسان تمرد ودخلت الخطية العالم وبالتالى الموت وجاءت اللعنة كنتيجة لقضاء إله عادل . وانظر إلى ما فعلته خطيتنا بالعالم : عنف ضد الأطفال ، عائلات ممزقة ، أمراض عقلية ، اغتصاب ، سرطان قاتل لأحبائنا ... إلخ . إنه عالم فظيع لكن المؤمن يعرف أنه يوجد إله محبة لأنه بالرغم من عصيان الإنسان أرسل الله ابنه ليموت ليردنا إلى خالقنا .

للأسف أغلب المسيحيين لا يستخدمون العدسات الصحيحة لأنهم تعلموا أن يؤمنوا بنظرية ملايين السنين من موت ومعاناة قبل خلق الإنسان . بالرغم من إيمانهم بأن الله محبة إلا أنهم لا يعطون إجابات كافية ومقنعة على تساؤلات غير المسيحيين . عندما يقتنع المسيحى أن مصدر الموت والمعاناة هو سقوط "آدم" سيكون باستطاعته أن يجاوب .

لأن معظم الكنيسة قبلت التعاليم التى تنادى بنظرية ملايين السنين من موت ومعاناة قبل خلق "آدم" فهى لا تملك إجابات مقنعة ، لكن كلمة الله لديها هذه الإجابات ـ لو تدرك الكنيسة هذا !

ولأن المسيحى تعلم أن يؤمن بنظرية ملايين السنين من موت ومعاناة وأمراض وإراقة الدماء فهو لا يقتنع بوجود إله محبة ولن يفهم طبيعة هذا الإله حتى يضع العدسات الكتابية الصحيحة التى لا ترضى بالحلول الوسط بما فيها الترتيب الزمنى للتاريخ : من الخليقة ، مرورًا بالسقوط ثم الصليب والقيامة ، وحتى يلبس المسيحى هذه العدسات الصحيحة فهو لن يتمكن من تفسير هذا التناقض البادى على العالم : موت وحياة ، صحة ومرض ، فرح وألم ، لغير المسيحيين .

غالبًا هؤلاء المسيحيين لن يفهموا رجاء المؤمن فى مستقبل سيعود ثانية لحالة الكمال التى كان عليها قبل الخطية . كيف يعود الحال إلى ما كان عليه من الكمال إذا لم يوجد فيه كمال من الأصل ؟ لهذا لا يتوقون إلى الذهاب إلى السماء بل "يكتفون" بنظرة قاتمة على الحياة وبالتالى لا يختبرون الفرح الحقيقى ، مما يؤدى إلى ظهور مسيحيين فاترين ومفلسين روحيًا لا يفهمون معنى الإنجيل الصحيح . فلا عجب أن يبدو الأمر وكأن المسيحية فقدت قوتها . هذا لأن المسيحيين فقدوا مسيحيتهم الحقيقية القائمة على كلمة الله الحى .

أكرر مرة أخرى أن المسيحيين وغير المسيحيين يفكرون مثل "الإغريق" ، لا بد لهم أن يبدأوا فى التفكير مثل "اليهود" قبل أن يفهموا رسالة محبة الله .

لنفكر سويًا فى الحل ، تأمل بدقة القلعة فى الصورة التالية التى سميناها "الحل"

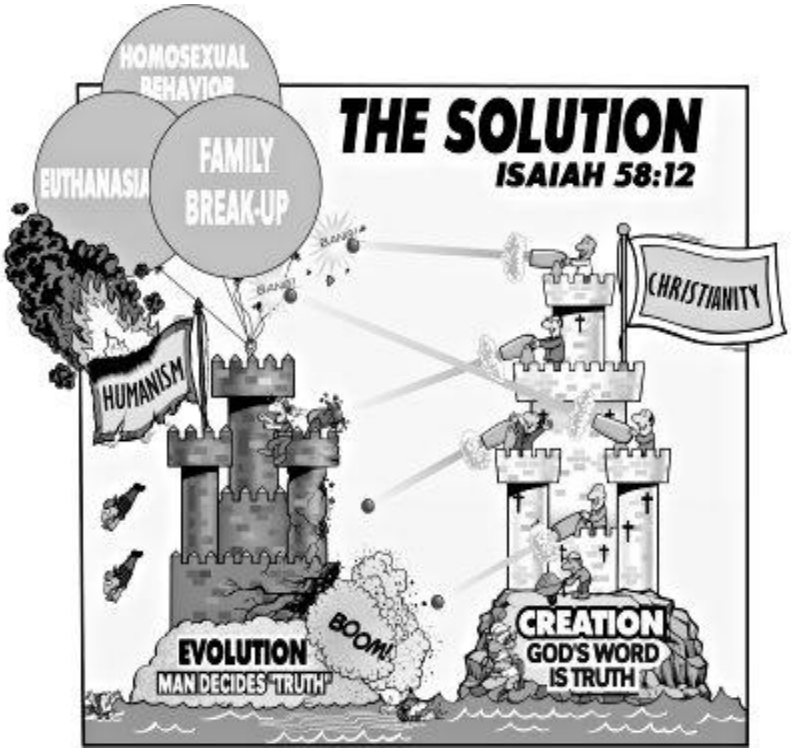

هذه هى نفس القلعة السابقة لكن لاحظ هذه المرة أن المسيحيين صوبوا أسلحتهم نحو أساسات القلعة الإنسانية وأسلحتها والقضايا المهتمة بها . وفى نفس الوقت يعيد المسيحيون بناء قواعد أساس كلمة الله .

ما أود قوله هو : قضايا مثل الإجهاض ما هى إلا أعراض للتغير الذى حدث فى الأساسات . لذا لا يستطيع المرء إعادة الثقافة للفسلفة المسيحية بمجرد الهجوم على هذه القضايا . المبادىء المسيحية لا تقدر على الوقوف بثبات حتى النهاية على الأساسات الخاطئة لنظرية التطور . إذا كان تناول هذه القضايا يقتضى فقط محاولة جعل السياسيين تغيير القوانين بشأن الإجهاض والشذوذ ... إلخ فهذا لن يفيد على المدى الطويل . حتى لو تغيرت بعض القوانين لتتقارب مع الفكر المسيحى فماذا سيحدث لو جاء مشرعون جدد لا يؤمنون بالمسيحية ؟ قطعًا سيعيدون القوانين لما سبق وكانت عليه .

لا تستطيع تغيير نظام ما من أعلى إلى أسفل فى الوقت الذى يحتاج فيه إلى تغيير جذرى . محاربة القضايا قد يثير انتباه الناس إليها وقد يثير المجادلات والمناقشات حولها . لكن على المدى الطويل فإن هذه المحاولات لن تغير المجتمع .

ما هو الحل ؟ الإرسالية العظمى وأجزاء كثيرة من الكتاب المقدس تنصحنى بالتبشير بسلطان كلمة الله .. بالتبشير بالإنجيل ودعوة الناس للخلاص .

إذا اختبر الإنسان الولادة الجديدة وأسس أفكاره على كلمة الله وتبنى وجهة نظر مسيحية حقيقية سيتمكن من تطبيق أفكاره على الثقافة السائدة . كلما فعل عدد أكبر من الناس هذا كلما تغيرت الثقافة وهذا هو جزء من دورنا كـ"ملح" و"نور" الكتاب المقدس فى العالم .

لاحظ من الصورة السابقة أنى قصدت أن أظهر المسيحيين يفعلون 4 أشياء :

١. إعادة بناء أساس كلمة الله . لا بد للمسيحيين من قبول سلطان كلمة الله ابتداءً من سفر التكوين ورفض الحلول الوسط التى يتبناها كثير من المسيحيين الذين يؤمنون بنظريات التطور . لا تستطيع الكنيسة حتى بدء تغيير الأساسات الذى يقتضى الرجوع إلى كلمة الله إلا إذا آمنوا بكل ما جاء بكلمة الله .

يجب على الكنيسة أيضًا تعليم الناس كيف يدافعون عن الكتاب المقدس وكيف يردون على أسئلة المتشككين وكيف يقدمون حلولاً إيجابية إلى القضايا المعاصرة المستغلة فى التحقير من شأن الكتاب المقدس .

يحتاج شعب الله إلى فهم العقائد المسيحية وأساسياتها كما ذُكرت فى سفر التكوين ومن الضرورى أن يعرف كيف يؤسس هذه العقائد فى حياته وحياة أبنائه [1] .

٢. المسيحيون يهاجمون المبادىء الإنسانية من جذورها . عليهم أن يفهموا أن نظريات التطور تناقض المبادىء الإلهية وأن يتعرفوا على البراهين العلمية البسيطة التى تدحض هذه النظريات[2] .

٣. المسيحيون يحاربون الأسلحة المُستخدمة ضدهم . فلا بد لهم استخدام طرق ووسائل حديثة لمواجهة نظام التعليم والبرامج التليفزيونية والمجلات والوسائل الأخرى المستخدمة لنشر الأفكار التطورية[3] .

٤. المسيحيون يقاومون شرور الإجهاض والشذوذ الجنسى والمواد الإباحية والآفات الأخرى التى تصيب مجتمعنا . لكن إذا أردنا مواجهتها بثبات علينا أن نعرف كيف ندافع عن موقفنا فلا نكتفى بمجرد المعارضة لأننا نظن أنها خطأ بل علينا أن نفكر فى أعماق هذه المشاكل ونعرف أسباب خطأها ولماذا لا يفهم غير المسيحيين موقفنا منها[4].

الخلاصة : أولاً ، ينبغى على الكنيسة أن تفهم أن الثقافة ككل تغيرت تغييرًا جذريًا من "اليهودية" إلى "الإغريقية" والوسائل التبشيرية لا بد أن تأخذ هذا فى الاعتبار ، وإلا ستصبح تدريجيًا بدون فائدة .

ثانيًا ، تحتاج الكنيسة نفسها لأن تعترف أنها أصبحت مثل "الإغريق" لهذا لم تفهم التغيير الشامل الذى حدث فى الثقافة ولهذا أيضًا لا ينجح المسيحيون فى الكرازة بالإنجيل اليوم .

قد يعترض البعض قائلاً : "ولكن كنيستى لها خدمة كرازية كبيرة ، نرى الكثيرين يأتون إلى الرب كل أسبوع . صحيح أننا لا نقصد أعدادًا غفيرة لكن برنامج كرازتنا ناجح وفعال" .
أعترف أن هذا يحدث فى كنائس كثيرة ولكن مع ذلك علينا أن نفهم أن هناك بعض البقايا للتأثير المسيحى فى عالمنا الغربى . فى "أمريكا" مثلاً مازال هناك ملايين من غير المسيحيين تأثروا قليلاً بالمسيحية فى نشأتهم .

لكن فى نفس الوقت علينا أن ندرك أن هذا الأساس المسيحى يختفى تدريجيًا فى المدارس وحتى الكنائس .

يبذر العدو بذار الدمار الخاصة به ، فالطريق الآن مفروش بأشجار وأحجار نظريات علم التطور فى الأحياء والجيولوجيا . صحيح هناك بعض بقايا للتأثير المسيحى لكنها تختفى على نحو تدريجى يثير القلق . فأغلب الأجيال الصغيرة تتلقى تعليمها من قبل نظام تعليمى معاد للمسيحية .

أصور "الكارز بنظرية الخليقة" بشخص يستخدم البلدوزر فى حرث الأرض لينقيها أولاً من الأحجار والأشجار والبقايا التى منعت البذور من مد جذورها تحت الأرض . نظرية التطور هى واحدة من أهم ـ إذا لم تكن الأهم ـ أحجار المعثرة التى تمنع الناس اليوم من السماع لرسالة الإنجيل . لا بد من إزالة هذا الحجر . لكن العدو قد استولى على الأرض وعلينا المطالبة باستردادها ، حرث الأرض وتجهيز الأساس هذا هو المقصود بـ"الكرازة بالخليقة" .

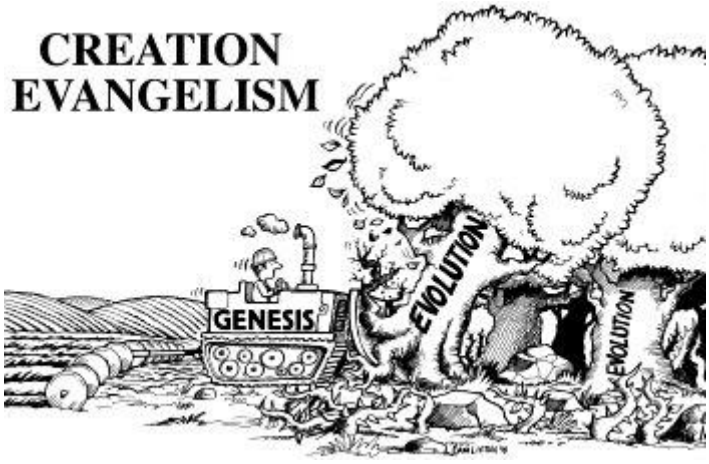

حتى لو كانت الجهود التبشيرية الحالية تحصد بعض الثمار فأنا أستطيع أن أجزم أن لم يكن هكذا الحال منذ أجيال مضت . فى معظم الأحوال فإننا لا نحصد اليوم كما حدث فى (أعمال الرسل 2) .

لكنى لا أقصد بذلك أن الكرازة الرائدة (ما قبل الكرازة أو "الكرازة بنظرية الخليقة") هى الوسيلة الوحيدة للكرازة لأن هناك وسائل أخرى كثيرة . ففى الكتاب المقدس نرى أن الرسل والرب يسوع استخدموا طرق مختلفة للكرازة لنوعيات مختلفة من البشر . وهذا هو القصد ، علينا أن نفهم خلفيات الناس المتنوعة فلا نستخدم وسيلة واحدة للكرازة . "الكرازة بالخليقة" ليست الوسيلة الوحيدة فى جعبتنا لكنها يجب أن تكون الأكثر استخدامًا لثقافة "الإغريق" المنتشرة اليوم . أعتقد أن الكرازة الرائدة يجب أن تُستخدم على نطاق واسع (كجزء من برامج الكنيسة الكرازية العادية) إذا أردنا أن نستمر فى الوصول إلى الناس برسالة الإنجيل .

سوف أشرح وجهة نظرى بطريقة أخرى . التربة التى عمل معها الرسول "بطرس" فى (أعمال الرسل 2) كانت تربة لينة (أرض مجهزة للزراعة) لكن فى (أعمال الرسل 17) واجه الرسول "بولس" تربة أكثر قسوة . وفى الوقت الحاضر أرى أن التربة زادت قساوة عما كانت عليه فى أيام "بولس" : ليس فقط لنقص معلومات الناس الأساسية عن الكتاب المقدس والمسيحية ولكن لأنهم يتلقون تعاليمًا مضادة لها لذا يصعب دفعهم إلى التجاوب مع كلمة الله . تذكرت ذلك عندما زار كنيستنا فى "سان دييجو" مرسل يعمل بين قبيلة هندية منعزلة بـ"المكسيك" . قفد شعر أن الكرازة بالإنجيل لهذه القبيلة الهندية أسهل من الكرازة لطلبة الجامعة بـ"كاليفورنيا" وقال لى

" مازال الهنود يؤمنون بالله على الأقل" .

يوجد اليوم ما نسميه بمسيحية "شريرة" ، الكنيسة تسمح بتنازلات كثيرة . أو بمعنى أصح كان ممكن الوصول بالكتاب المقدس إلى هذه الثقافة بكل سهولة لو كانت وثنية تمامًا .

لكن الكرازة بالخليقة تنجح فى التغلب على هذه الظروف الصعبة وهذا لا يجب أن يدهشنا لأن سفر أعمال الرسل أُعطى لنا كمثال لنحتذى به . اخترنا عدة شهادات من ملفاتنا ووضعناها فى الفصل الرابع عشر لإثبات ذلك .

إذا لم نبدأ فى المطالبة بما فقدته المسيحية فلن يتبقى أى شىء للأجيال القادمة . يجب أن نعترف أيضًا أنه لا توجد حلول جاهزة وسريعة لمقاومة التعليم الذى غرسته نظرية التطور لأكثر من قرن .

هل تتذكر عندما ذهبت جيوش بلدان عديدة إلى "الكويت" للمطالبة بالأرض التى استولى عليها العدو ؟ رسمت الولايات المتحدة "خطًا فى الرمال" . بطريقة مماثلة هناك حرب روحية تدور فى ثقافتنا اليوم عندما نحاول استرداد ما سلبه العدو (الشيطان) .

أليس مثيرًا للاهتمام ما نلاحظه عن قضية الخليقة / التطور وكيف اكتسبت قيمة عاطفية ؟ تستطيع أن تتكلم عن مختلف أنواع القضايا فى المدارس العامة لكن بمجرد أن تذكر موضوع الخليقة / التطور ستجد رد فعل فوريًا ، هذا لأن المهتمين بالقضايا الإنسانية يعرفون أين تدور المعركة الحقيقية . لم تعد تهم القاعدة الأساسية وهى الله هو الخالق وعلى كل حال إذا كان الله ليس هو الخالق فلا يهم أى شىء أخر .

حقيقة أن قضية الخليقة / التطور تثير ردود أفعال عاطفية وجدلاً واسعًا لا بد أن تنبه الكنيسة إلى أن ذلك هو خط القتال الأمامى من المعركة الدائرة بين المبادىء الإنسانية والمسيحية ، هذا خلق الانقسام بين المسيحيين لأن الغالبية قبلت نظرية ملايين السنين من التاريخ أو أوجه أخرى لفلسفة التطور . بل طالب البعض بأننا لا بد أن نعلم الأشياء التى توحد وليس التى تُقسم .

بعدما انتهيت من محاضرتى فى جامعة مسيحية أخبرنى بعض الطلبة بأن اليوم السابق لحضورى حاول أحد الأساتذة استباق محاضرتى بابلاغ الطلبة أن الخدمات المتعلقة بالخليقة تزرع الانقسام دائمًا، أراد أن يُلمح إلى أن من يقبل سفر التكوين حرفيًا يزرع الانقسام لكن من يتبنى مواقف أخرى لا يميل إلى الانقسام .

الرب يسوع المسيح ، خالق هذا العالم ، جلب الانقسام خلال خدمته على الأرض : "لا تظنوا أنى جئت لألقى سلامًا على الأرض . ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها" (متى 10 : 34 - 35) . ونقرأ فى (لوقا 12 : 51) : "أتظنون أنى جئت لأعطى سلامًا على الأرض ؟ كلا أقول لكم بل انقسامًا" .

وماذا نتج عن خدمة المسيح ؟ "فحدث انشقاق فى الجمع لسببه" (يوحنا 7 : 43) . "فحدث أيضًا انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام" (يوحنا 10 : 19) . أنا واثق أن بعض الخدام المتدينين اليوم يتهمون المسيح بزراعة الانشقاقات .

ما أعنيه هو أن الحق يُحدث انقسامات ! لأن المسيح هو الحق أدت خدمته إلى حدوث انشقاقات. لأن خدمة "الإجابات من التكوين" تصر على الحق الحرفى الوارد فى سفر التكوين (كلمة الله) لذا يتهمنا هؤلاء المسيحيين الذين يقبلون نظريات التطور و/أو ملايين السنين باحداث انشقاقات.

كثير من الناس يعتقدون أن البعض ـ مثلى أنا ـ منحازين وبالتالى يدعون إلى الانقسام ، والبعض الآخرمحايد تمامًا . من الضرورى أن نفهم أن كلمة الله تخبرنا أن لا شىء اسمه الحيادية ، إما نسير فى النور أو فى الظلمة ـ لا مكان للوسط . فى (متى 12 : 30) نقرأ : "من ليس معى فهو على ومن لا يجمع معى فهو يفرق" .

هؤلاء الذين يحاولون التوفيق بين الكتاب المقدس وفلسفات التطور والعمر الطويل يُثبتون ما يدعوه صديقى "كارل ويلاند" بـ"عقلية القطيع" ، أى الرغبة فى كسب موافقة العالم : "القطيع يقول أن سفر التكوين لا بد أن يؤخذ كأسطورة أو رمز" .

أتذكر واقعة حدثت فى "إنجلترا" بعد تحدثى مع مجموعة مسيحية مرموقة بجامعة "كمبريدج" . أثناء محاضرتى على أهمية سفر التكوين هب واقفًا شاب صغير وقال : "أنت تثير الموضوع

كأن ما تقوله حقيقة" .

جاوبت قائلاً : "لو لم أؤمن بما أقول ما كنت نطقت به" !

قضيت وقتًا طويلاً مع هذا الشاب أناقش المشكلة التى يعانيها مع ما كنت أقول . كان يريدنى أن أسمح بالآراء الأخرى ولا أبدو كالواثق من صدق كلامه ، ثم اتهمنى بضيق الأفق وبالانحياز فى نفس الوقت الذى ادعى فيه بأنه واسع الأفق ويسمح بالآراء الأخرى .

حين سألته إن "كان واسع الأفق" بدرجة كافية لقبول رأيى الذى ينادى بواجب قبول سفر التكوين حرفيًا أدرك ساعتها أننا وصلنا لطريق مسدود . كان يلح علىّ لقبول امكانية عدم صحة رأيى ولاعتبار الآراء الأخرى على نفس المستوى . سألته إن كان واسع الأفق بدرجة كافية لقبول وجهة نظرى التى تعتبر الآراء الأخرى خاطئة ! لم يقبل موقفى وأنا أيضًا لم أقبل موقفه .

هذا يذكرنى بالجامعات المسيحية التى يصرح الناطقون باسمها بالسماح بكل الآراء المتعلقة بسفر التكوين ومع ذلك يرفضون أن يعتبروا آراء من يفسره حرفيًا صحيحة ! هذه الجامعات ، مثل الطالب الذى ذكرته ، اتخذت موقفًا عقائديًا لا يسمح بتفسير سفر التكوين حرفيًا ويعتبر كل الآراء الأخرى خاطئة .

طالما خدمة المؤمنين بالخليقة موجودة فى هذا العالم ستحدث انقسامات ، هذا ما يعمله الحق دائمًا ! عندما نشع نورًا فى عالم مظلم لا بد أن يحدث الانقسام .

لا يجب أن نحكم على وسيلة أو رسالة ما على أساس إذا كانت ستحدث انقسامًا أم لا ، لكن على أساس إذا كانت حقًا كتابيًا أم لا . الكرازة بالخليقة ـ رغم أنها تحدث انشقاقات ـ لكنها نورًا مشرقًا فى عالم مظلم . يحتاج المسيحيون التشبث بذلك والبدء باستخدام هذه الوسيلة القوية للوصول بالإنجيل إلى الناس .

قال لى بعض المؤمنين : "حسنًا ، حتى وإن ما تقوله صحيحًا لكن ما تدعو إليه يحتاج وقتًا وجهدًا . قد يعود الرب فى أى وقت ، لا نحتاج إلا لأن يخلص الناس ، لا معنى لقضاء سنوات فى مجادلة هذه المشكلة الجوهرية . إذا كان هذا الأساس قد أخذ سنوات لتغييره فإنه قد يأخذ

سنوات لإعادته إلى أصله وسوف تهلك ملايين النفوس فى تلك الأثناء . لا ، نحتاج لنخلص النفوس فقط حتى ولو لم يفهموا المسيحية بأكملها لأن الأهم هو إدخالهم السماء " .

أتذكر مناقشة دارت بينى وبين د. "هنرى موريس" من معهد أبحاث الخليقة . كان د. "موريس" يعطينى بعض المعلومات عن كتاب "طوفان التكوين" من تأليفه مع د. "جون وايتكومب" . كان هذا الكتاب حافزًا لبدء تكوين خدمات الخليقة فى كل العالم . أتذكر أن د. "موريس" قال أنه تقريبًا لم يؤلف الكتاب لأنه رأى أن الأهم هو البشارة بالإنجيل ورؤية الناس يخلصون . وصرح بأن الكتاب ركز على مواجهة فلسفة التطور وإعادة الأساس الكتابى إلى مكانها كرؤية على المدى الطويل ، لأننا نحتاج لسنوات كثيرة لتغيير فكر أرسى قواعده لفترة طويلة فى الكنيسة . قال أنه رأى أن الرب سيأتى عن قريب وأن ما علينا إلا الكرازة بالإنجيل .

تكونت هيئات الخليقة حول العالم وسمع الملايين الإنجيل من خلالها كنتيجة للكتاب الذى ألفه د. "موريس" و د. "وايتكومب" منذ أكثر من ثلاثين عامًا. كتاب "طوفان التكوين" فى الواقع هو بدء الكرازة بالخليقة . يا له من عمل جليل قام به هذا الكتاب فى رؤية الناس تشتعل بمحبة الرب والنفوس تخلص !

عندما أتذكر الفترة التى قررت فيها أنا وزوجتى "مالى" تركى للتدريس وبدء خدمة الخليقة عام 1979 لم أدرك أبدًا وقتها القوة الحقيقية للكرازة بالخليقة . حين يفكر المرء فى النجاحات التى حققتها نظرية التطور فى التعليم وفى المجتمع بصفة عامة فإن فكرة محاولة جماعة صغيرة محاربة هذا المارد الجبار ـ ظاهريًا ـ تبدو فكرة غير معقولة بالمرة . لكن الرب يبارك من يستند على كلمته بدون أن يقدم أى تنازلات ، ولقد استخدم الرب هذه الخدمة لربح نفوس كثيرة وإشعال المسيحيين بالحماس للانضمام فى هذه المعركة لأجل النفوس .

نعرف من الكتاب المقدس ومن سلطان الله أن لن يهلك أحد من النفوس التى أعطاها الآب للابن (يوحنا 17) .

ومن واقع مسئوليتنا الإنسانية ينبغى أن نبذل ما فى وسعنا للكرازة للهالكين ومن هنا تنشأ مشكلتى الكبيرة مع من ينادى بأن كل ما يهمنا هو خلاص النفوس فقط . رأيت بعض الدراسات والأبحاث التى تشير إلى أن معدل الطلاق بين من يدعى أنهم مولودين ولادة ثانية أعلى من

باقى العالم(5) . كما ترتفع أيضًا معدلات الإجهاض فى الكنيسة .

ألاحظ شخصيًا أن هناك حالات كثيرة فى الكنيسة من "الإيمان السهل" (أى مجرد ثقة فى المسيح) لدرجة أن كنائسنا تمتلىء من أناس أضافت المسيح إلى "آلهتها" الأخرى . فمن السهل جدًا أن يتأثر الناس عاطفيًا ويقررون غرس ثقتهم فى الرب يسوع لكن إن لم يعرفوا معنى ذلك ـ إذا لم يتوبوا توبة حقيقية مثلاً ـ فهل يعتبرون إذًا مؤمنين حقيقيين ؟

لنكن صرحاء . فى مرات كثيرة لا يفهم هؤلاء الناس خطيتهم بالمعنى الصحيح . ربما يأتون كمحاولة أخيرة للهروب من آلامهم ، لكنهم لم يدركوا أبدًا المعنى الحقيقى لخطيتهم . بعد صلاة قصيرة يواصلون حياتهم كما عاشوها من قبل ! لعمل كرازة صادقة وتلمذة مكرسة لا بد من استخدام "كرازة الخليقة" ليفهموا خطيتهم وحاجتهم للتوبة كما يحتاجون لتعلم التلمذة والانضباط ليعرفوا كيف يصبحون مؤمنين حقيقيين ويصبح لديهم وجهة نظر مسيحية .

دعونى أوضح كلامى بمثال عملى . "إرسالية القبائل الجديدة" هى هيئة تبشيرية سجلت مشكلة ضخمة يواجهونها أثناء تبشيرهم للقبائل الوثنية[6] .

مثل أغلب الهيئات التبشيرية الأخرى يركز مرسلوهم على العهد الجديد عندما يعلمون القبائل عن المسيح . يدعونهم للالتزام بالإيمان ويظنون أن الكثيرين نالوا الإيمان وبمرور الوقت يدركون أنه لم يكن لدى الغالبية توبة حقيقية . وفى نهاية الأمر غيرت "إرسالية القبائل الجديدة" طريقتها وبدأت بتعليم الرسالة المسيحية من بداياتها من التكوين . فقد أدركوا أن هذه القبائل ليس لديها أى أساس مسيحى بالمرة فكيف سيدركون إذاً مفهوم الخطية ويفهمون لماذا مات المسيح ؟

"إرسالية القبائل الجديدة" تبنت منهجًا تعليميًا وطورته وهو منهج يتميز بالترتيب الزمنى ويُمكن المرسلين من تعليم الكتاب المقدس من الخليقة حتى المسيح[7] . بدأوا من البداية !

إنها مسألة بسيطة للغاية فلا أحد يستطيع أن يفهم ما حدث على الصليب حتى يفهم الأحداث التاريخية الواردة فى العهد القديم (معنى ما يرمز إليه خروف الفصح مثلاً) .

"إرسالية القبائل الجديدة" وجدت بعد أن وضعت هذا الأساس أنهم عندما يصلون لرسالة

الصليب يكون رد الفعل مذهلاً جدًا : عدد النفوس التى تأتى للمسيح كبير وبتوبة حقيقية[8] .

عندما نقرأ كتابًا أو نشاهد فيلمًا فإننا لا نفوت النصف الأول ثم نقرأ أو نشاهد البقية بل نبدأ من البداية حتى نفهم سير الأحداث . إذا كان الحال هكذا فلماذا معظم المؤمنين يبدأون من النهاية عندما يقرأون الكتاب المقدس ؟

أذكر سيدة فى كنيسة جاءت إلىّ وأخبرتنى تأثير عظتى عليها فى ذلك الصباح . قالت : "صرت مؤمنة منذ سنتين وقيل لى أن أدرس إنجيل "يوحنا" لكنى لم أفهم معنى المسيحية بالضبط . بعد عظتك عن سفر التكوين شعرت كأن مصباحًا أضاء فجأة فى رأسى لأنك أخذتنى إلى نقطة البداية وصرت أفهم الآن كل شىء . لأول مرة فى حياتى أعى المعنى الحقيقى للمسيحية ،*لم يقترح علىّ أحد أبدًا أن أبدأ قراءة الكتاب المقدس من بدايته*" .

وأقدم لكم اقتراحًا عمليًا للتبشير اليوم فمرات عديدة نوزع العهد الجديد ربما مع المزامير أو الأمثال . لكن أود أن أقول أنه بدون العهد القديم وخاصة سفر التكوين لا أساس للعهد الجديد . الناس الذين تأثروا بنظرية التطور لن يتمكنوا من فهم تاريخ الكون والحياة ولن يدركوا أن ما آمنوا به كان خطأ . على الأقل نريد أن نتأكد اليوم أن الناس يقرأون أول 11 أصحاح من التكوين مع العهد الجديد .

فى الواقع فكرت كثيرًا ووجدت أن النبذة الصحيحة والمناسبة للتوزيع لا بد أن تحتوى على أجزاء من تكوين 1 - 11 ، خروج 20 (الناموس) ، إنجيل يوحنا ، رسالة رومية ، كورنثوس الأولى 15 ، ورؤيا 21 - 22 . فهذه الأجزاء ستعطى للمرء فهمًا كاملاً لأساس الإنجيل وقوته ورجائه .

الكرازة للقبائل الوثنية بالخليقة

هناك جانب آخر هام للكرازة بالخليقة وهو وسيلة قوية وفعالة للتبشير بين القبائل الوثنية .

أعتقد أن هيئات تبشيرية عديدة لم تفهم السبب الكامن وراء استجابة الناس الإيجابية للإنجيل وبالتالى فشلت تلك الهيئات فى الاستفادة من وسيلة فعالة لتعليم كلمة الله .

منذ سنوات كنت أزور مركزًا تبشيريًا فى "أستراليا" وبسبب خبرتى فى مجال خدمة الخليقة أعرف أن معظم الثقافات حول العالم (الهنود الأمريكان وسكان فيجى والإسكيمو وأهل هاواى والسكان الأصليين لأستراليا مثلاً) لديهم أساطير توارثوها عن أجدادهم تبدو مثل حكاية طوفان "نوح" وحكايات أخرى فى سفر التكوين . وهذا أثبت لى بالطبع أن هذه الثقافات مصدرها "نوح" ونتج عنها هذه الأساطير التى تأسست أصلاً على أحداث حقيقية لكنها تغيرت بطريقة ما عبر السنين .

كان أحد المُرسلين يشرح لى مدى صعوبة التبشير بالإنجيل بين هذه الثقافات الوثنية فسألته إن كان سمع أساطير عن طوفان أو كيف تكونت الخليقة . فكر للحظات وبدأ يسرد لى بعض القصص التى توارثها السكان الأصليون جيلاً بعد جيل . وأثناء حديثنا قال لى هذا المُرسل أنه فكر كثيرًا لماذا تبدو هذه القصص مشابهة لما ورد عن الخليقة والطوفان فى التكوين لكنه لم يصل إلى نتيجة محددة ، كما أن الهيئة التبشيرية التى يعمل معها تعرف هذه القصص لكنها لم تسمح لهم باستخدامها كجزء من خدمتهم التبشيرية .

أشرت إليه أن ذلك قد يكون نقطة بداية لتقديم كلمة الله فعلى أى حال أولئك الناس لهم قصص مشابهة لما جاء فى الكتاب المقدس .

بعد بضع سنوات قابلت ذلك المُرسل مرة ثانية وحكى لى قصة عجيبة . كان جالسًا ذات يوم مع شيخ عجوز من الأهالى هناك وأخبره ذلك الشيخ أن السكان الأصليين للمكان يؤمنون بأن أول امرأة خُلقت أثناء نوم أول رجل . فقرأ له المُرسل قصة خلق "حواء" من التكوين . فبدت الصدمة على وجه العجوز وسأل : "كيف يكون لكم نفس القصة التى لدينا؟ ولكنى أجد أن قصتكم أفضل" . وبعد ذلك بوقت لاحق قاد المُرسل ذلك الشيخ إلى الرب يسوع المسيح .

"دون ريتشاردسون" فى كتابه الشهير *"الأبدية فى قلوبهم"* أعطى عدة أمثلة عن أناس لم تسمع عن المسيحية لكنها استجابت للإنجيل لأن كان لديهم معرفة كافية عن الإله الحقيقى الموجود فى ثقافتهم[9] . وكتب أن أعظم نجاح للمرسلين تحقق عندما قارن المرسلون بين الإله الخالق الذى تتكلم عنه الأساطير المنتشرة هناك وبين الإله الحقيقى الذى يوجد بالكتاب المقدس .

ومع ذلك يهمل معظم المرسلين والهيئات التبشيرية هذه الطريقة . "ريتشاردسون" علق على

ذلك فى كتابه قائلاً : "كان يمكن لأتباع المسيح حول العالم وعبر الزمان قوة أكبر مائة مرة فى التبشير لو استطاع أساتذة اللاهوت والقساوسة ومدرسو مدارس الأحد فهم وتوصيل هذا الموضوع كما نجح الكتاب المقدس فى توصيله للناس"[10] .

وهناك بلاد يعمل فيها المرسلون مع هيئات ورجال دين وينكرون وجود إله واحد خالق للكون بل ويناصرون علماء التطور فى معتقداتهم . فمثلاً يبدأون بما قبل الخليقة .

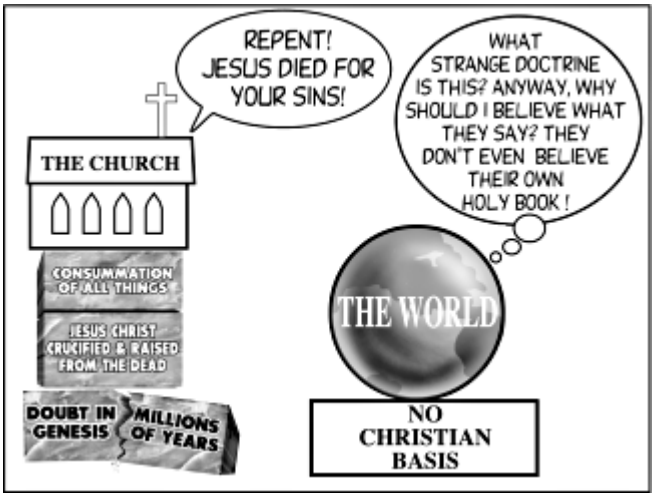

هؤلاء الناس يحتاجون لمن يتقرب إليهم عن طريق الكرازة بالخليقة . لا بد للمرسلين من محاربة نظريات التطور تلك وبناء أساس صحيح ومناسب لكيان الإنجيل . أرى أن أحد الأسباب الرئيسية لعدم استخدام المرسلين للكرازة بالخليقة لأنهم هم أنفسهم متأثرون بنظريات التطور وملايين السنين لدرجة أنهم لا يرون سفر التكوين مادة أساسية أو فعالة فى الكرازة وبالتالى لن يقدروا أهمية هذه الوسيلة ، فهم أخفقوا فى المشكلة الأساسية لأن مازال لديهم الرأى القائل بأن الطريقة الوحيدة لتقديم الإنجيل هو التبشير برسالة العهد الجديد عن الخطية والتوبة والإيمان بيسوع المسيح .

حتى داخل الكرازة بالخليقة يوجد أكثر من طريقة ولكنها تختلف حسب خلفية المستمعين .

نقطة أخرى جديرة بالملاحظة وهى عن ريادة "بولس" فى الكرازة فعندما كان يبشر "الإغريق" ما كان يتوقع أحد أنهم يأتوا حيثما يجتمع "اليهود" . "بولس" لم يدعو الفلاسفة اليونان لاجتماع فى مجمع اليهود المحلى ، لم يبدأ اجتماعه معهم بالصلاة أو بتوزيع ورقة بها ترانيم ،

بل ذهب إليهم واستعار من شعرائهم أبيات شعر . وفى نفس الوقت لم يهمل تعليم كلمة الله بل استخدم وسيلة تعليمية ليسهل عليهم فهم كلمة الله . أما مسألة حضورهم للكنيسة فكان سيهتم بها لاحقًا .

كنائس كثيرة فى عالمنا الغربى اليوم تعترف بأنها لا تبشر العالم بل تحاول سد الفجوة الموجودة بين الكنيسة والعالم بنشر برامج ترفيهية مألوفة لأهل العالم . وتركز اهتمامها على محاولة جذب الناس للداخل "ليمتعوا أنفسهم" . وفى أغلب الأحوال يؤدى هذا إلى "الاستخفاف" بتعليم كلمة الله .

حتى معاهد اللاهوت وجامعات تدريس الكتاب المقدس توصى باستخدام وسائل الترفيه هذه . نادرًا ما نرى اليوم قساوسة وقادة مدربين على تعليم كلمة الله آية آية وعلى تطبيقها فى الحياة . الكرازة بتفسير كلمة الله فن مفقود .

أصبحت مؤمنًا منذ عدة سنوات وكنت متمسكًا بامكانية وجود أرض قديمة العهد جدًا . وهذا عندما كتبت رسالة نقدية لك ورد مساعدوك برسالة اخرى مع شريط "تحدى للكنيسة" تراجعت عن موقفى . أفهم تمامًا الآن كيف أن النظريات العلمية ـ القابلة للخطأ ـ للتأريخ والأصول تقلل من قيمة سفر التكوين وبالتالى تشوه معنى الصليب . واصل عملك الصالح .

دى . جى .
كنتاكى

سيدعى عدد من قادة الكنيسة وأساتذة اللاهوت أننا نبشر اليوم ناس ثقافتها واحتياجاتها مختلفة ، أتفق معهم لكن أختلف معهم بخصوص الطريقة التى يفهمها هؤلاء القادة . فهم لا يفكرون بمنطق "الإغريق" بدلاً من "اليهود" بل يرون أنها ثقافة ذات ميول تكنولوجية إذ يتأثر الناس

بالتليفزيون ويفقدون الاهتمام بالأمور الروحية . صارت المادية إلهًا لديهم ، لكن فات على الكنيسة السبب الأساسى لفلسفة ثقافة اليوم .

حتى تستعيد الكنيسة أساسها المضبوط فهى لن يكون لها تأثير فعال على الثقافة مهما بلغ نجاح برامجها فى اجتذاب الناس .

مما يزيد المشكلة تعقيدًا هو أن معظم المؤمنين يرون أن العدد هو مقياس النجاح ، مع إن مقياس النجاح الحقيقى هو أن نحيا حياة مسيحية ثابتة ونكون ملحًا ونورًا وننفصل عن العالم (لكن لا نبتعد عنه بل نؤثر فيه) وهذا سيقود على المدى الطويل إلى اجتذاب أعداد أكبر من الخطاة .

بعض "كنائس الميجا" قد تجذب عددًا كبيرًا ببرامجها الغريبة وقد يقبل بعض الناس الخلاص لكن فى النهاية إن لم نضع الأساس الصحيح لن ننال نتيجة مرضية .

إذًا من أين نبدأ ؟ إذا كان كلامى صحيحًا فالأمر سيبدو كأن علينا مهمة ضخمة . من أين نبدأ لتحويل الدفة ؟

****

مراجع وملاحظات :

(1) "جريج ل. بانسان" ، *مستعد دائمًا* ، دار نشر كوفاننت ميديا ، تكساركانا ، أركنساس ، 1996 .

"جوردون" هـ. كلارك" ، *فلسفة مسيحية للتعليم* ، دار نشر ترينيتى ، جيفرسون ، ماريلاند، 1988 .

"كن" و"مالى هام" ، د لـ ديناصور ، دار نشر ماستر بوكس ، جرين فورست ، أركنساس، 1991 .

"كن" و"مالى هام" ، *أ لـ آدم* ، جرين فورست ، أركنساس ، دار نشر ماستر بوكس ، 1995 .

"هام" ، *الكذبة : التطور*

"هام" و"تايلور" ، *حل سفر التكوين*

"هنرى م. موريس" ، *سجل سفر التكوين* ، دار نشر بيكر بوك هاوس ، جراند رابيدز ، ميتشيجان ، 1976 .

"هنرى م. موريس" ، *خليقة الكتاب المقدس* ، دار نشر بيكر بوك هاوس ، جراند رابيدز ، ميتشيجان ، 1993 .

"ج. توماس شارب" ، *العلم وفقًا لموسى* ، المجلد الأول ، دار نشر كرييشن تروث ، نوبل ، أوكلاهوما ، 1992 .

(2) "ديوان ت. جيش" ، *التطور : مازالت الحفريات تقول لا* ، معهد أبحاث الخليقة ، الكاجون ، كاليفورنيا ، 1993 .

"كن هام" و"آندرو سنلينج" و"كارل ويلاند" ، *كتاب الإجابات* ، دار نشر ماستر بوكس ، جرين فورست ، أركنساس ، 1990 .

"هام" ، *حل لغز الديناصور العظيم !*

"هنرى م. موريس" ، *الأساس الكتابى للعلم الحديث* ، دار نشر بيكر بوك هاوس، جراند رابيدز ، ميتشيجان ، 1984 .

"باركر" ، *الخليقة : حقائق الحياة* .

"جارى باركر" ، *الحياة قبل الميلاد* ، دار نشر ماستر بوكس ، جرين فورست ، أركنساس ، 1992 .

(3) مثال : برنامج نوادى الخليقة فى المدارس العامة ، بدأته هيئة "إجابات من التكوين" عام 1998 .

(4) "هام" ، *الكذبة : التطور*

(5) أعلى 100 حالة : الجزء الثانى ، تقرير بارنا ، مجموعة أبحاث بارنا ، أوكسنارد ، كاليفورنيا ، صفحة 2 ، يوليو / أغسطس 1997 . أسلوب الحياة المسيحى : 27% من المسيحيين المولودين ولادة ثانية حصلوا على الطلاق ، 23& من غير المسيحيين حصلوا على الطلاق .

(6) "تريفور ماكلوين" و"نانسى إيفرسون" ، *أساسات ثابتة : الخليقة للمسيح ، دروس للكبار والمراهقين* ، إرسالية القبائل الجديدة ، سانفورد ، فلوريدا ، صفحة 3 - 15 ، 1991 .

(7) نفس المرجع .

"تريفور ماكلوين" و"نانسى إيفرسون" ، *أساسات ثابتة : الخليقة للمسيح ، دروس للكبار والمراهقين* ، إرسالية القبائل الجديدة ، سانفورد ، فلوريدا ، 1994 .

"تريفور ماكلوين" و"نانسى إيفرسون" ، *أساسات ثابتة : الخليقة للمسيح ،معلم الأطفال* المجلد 1 - 5 ، إرسالية القبائل الجديدة ، سانفورد ، فلوريدا ، 1993 .

"تريفور ماكلوين" و"نانسى إيفرسون" ، *أساسات ثابتة : الخليقة للمسيح ، كتاب التمرينات*

للأطفال ، إرسالية القبائل الجديدة ، سانفورد ، فلوريدا ، 1995 .

(8) إرسالية القبائل الجديدة ، *الآن نرى بوضوح* (فيديو) ، إرسالية القبائل الجديدة ، سانفورد ، فلوريدا ، 1992 .

إرسالية القبائل الجديدة ، *عندما تبدو الأشياء مستحيلة* (فيديو) ، إرسالية القبائل الجديدة ، سانفورد ، فلوريدا ، 1994 .

(9) "دون ريتشاردسون" ، *الأبدية فى قلوبهم* ، فنتورا ، كاليفورنيا ، دار نشر ريجال بوكس ، 1981 .

(10) نفس المرجع ، صفحة 129 ، غير مؤكد إذا كان "ريتشاردسون" أوضح لماذا القبائل الوثنية لديها عادة حكايات عن إله خالق او "إله السماء" . يبدو أنه يسند كل شىء إلى أن قلوب هؤلاء الناس معدة لقبول أى أمر خارق للطبيعة .

ربما هذا ما يكون قد حدث بالفعل لكن كون أن لدى البعض أساطير عن الطوفان وبابل وإلخ... يرجح إيمان ثقافتهم بوجود إله حقيقى واحد وذلك يثبت صدق الأحداث التاريخية الواردة بالكتاب المقدس . نجد قصة برج بابل فى (تكوين 11)وهى حدثت من أقل من 4500 سنة .

هذا الفصل من كتاب "لماذا لا يريدون الاستماع؟" نُشر وقُدم مجانًا لـ"إجابات من التكوين" من قِبَل "ماستر بوكس" ، من "نيو ليف بريس" (جرين فورست ، أركنساس) .